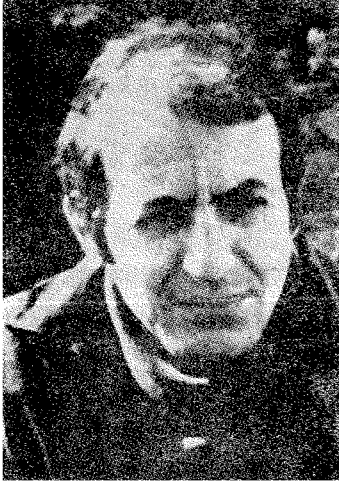


# مقابلة أربن شيخ : الدكتور جمال بن الشيخ



## حديث اجراه : ماجد السامرائي

وهكذا يتولد من « البنيوية » . وينسلخ عنها . ما يسميه جمال بن الشيخ : « البنيوية المحورية » أو « البنيوية التفرعية » . فهي بذات الوقت الذي تعتبر فيه احدى ثمار البنيوية ، كما عرفتها الدراسات الخاصة بذلك . وفي فرنسا بالذات ، فانه يضيف اليها « منهجيته » . ذلك ان للنص الذي يتعامل معه ( وهو نص عربي ) مقوماته الخاصة به ، والتي تتطلب « أسلوبا » في تحليل روابط مفرداته ، وعباراته ، والكشف عن عناصره . ومن هنا تتكون « منهجته الجديدة » .

على هذا ، وانطلاقا منه ، يمكن أن نتخذ من « جمال بن الشيخ » نموذجا للمثقف العربي الذي يقيم تفكيره ، وبالتالي اتجاهه ( النقدي والدراسي ) ، على أساس نوع من التوازن الحي والمتفاعل ما بين ثقافتين : الثقافة العربية ، بمعطياتها الابداعية ، حيث الجذور وأصالة التكوين . . والثقافة الغربية ، بمعطياتها المنهجية ، ورؤيتها المتعمقة ، التي يتحول بها ، عن تمثل واستيعاب واع ، الى « ثقافته الاصل » ، بهدف تشكيل موقف نقدي ، ومنهجي جديد . يوازن ما بين « الاصل »

## من « البنيوية » الى « البنيوية المحورية » ( منهج في دراسة الادب العربي بنيويا )

حين نجس الى الدكتور جمال بن الشيخ - الاديب والباحث الجزائري - لتحدثه بنقه « الثقافة الحقيقية » ، التي يبدو انه لا يساوم عليها . تجد نفسك . امام واحد من المعفين الجادين حقا ، الذين يمكن ان تعود بنتائج نعاتهم هدد الى « الثقافة العربية المعاصرة » . بالرغم من نوبه يكتب بالفرنسية . . فهو متف جاد . له منظوره الواضح . ومنهجه في طريقه التفكير . وفي تقديم نتائج هذا « التفكير » من خلال معطيات بارزة في النقد . او الدراسة ( الادبية النقدية التحليلية ) ، منطلقا . في هذا كله ، من قناعة . ذاتية وفكرية ، « بان الثقافة لا يمكن ان تحرك من الخارج . بل من الداخل » . انه واحد من المثقفين العرب الذين يطرحون اليوم أسلوبا في التفكير ، ويقدمون طريقة في الدراسة . .

وهو واحد من « البنيويين العرب » ، يجعل لهذه « المدرسة » خصوصية ، بما يطرح فيها من أبعاد جديدة في أساليب الدراسة وطرائق البحث . ان السؤال الذي يطرحه ، امام عمل جمال بن الشيخ ، هذا ، هو :

— أين تقف ، نحن ، اليوم من معطيات الثقافة العالمية ، ومن انجازاتها المنهجية ؟

قد يكون هذا هو « محور » الحوار معه حول « البنيوية » . وقد يكون جمال بن الشيخ هنا ، وفي امتداد عمله في الحقل النقدي - التحليلي يقدم « النموذج » لما ينبغي أن تكون عليه عمليات : الاخذ ، والعطاء ، والتفاعل الحي الخلاق . فهو في الوقت الذي يتفاعل فيه مع « معطيات مدرسية » جديدة ، مستفيدا من انجازاتها المنهجية ، ومن طرائقها ، يحرص على استقلال « علمه الجديد » ، ضمن سعي جاد منه الى تدعيم الاسس الموضوعية والمنهاج الصحيحة له ، متلمسا صلاته بأدبه ، متخذا له طرائق تنسجم وروح الابداع العربي وجوهه .

و «المعطى» ، دون أن يمحو « شخصيته التاريخية »  
كمثقف عربي ، أو يلاشيها في أبعاد الآخرين .  
ويقدر ما يتخذ هذا الحوار معه من هذه الافكار  
« خلفية » ، فانه يقدم « نموذجاً جاداً » لفكر فيه الكثير  
من سمات الأصالة :

### \* في البداية ، أود التعرف على مكانة « البنيوية » في الدراسات المعاصرة ، وفي الدراسات الادبية بشكل خاص . .

— ينبغي هنا ان نلاحظ ملاحظة بسيطة . هي ان  
البنيوية لم تطبق على الادب الا من جوانب محدودة .  
البنيوية لها تاريخ معروف . فمنبع البنيوية هو  
« الانثربولوجية » . والذي ابتكر فكرة البنيوية هو  
ليفوستوس ، الانثربولوجي الفرنسي المشهور . بعد  
هذا كانت هناك بعض المحاولات حاول فيها بعض العلماء  
ان يطبقوا مبادئ البنيوية على الادب مثلاً .

فكرة البنيوية — فيما يخص الادب طبعاً — تركز  
على مبدا أساسي بسيط . هو : كل مجموعة من العناصر  
ترتكز على حركية علائقية . والمهم هو ان نحلل العناصر  
نعناصر . . ولكن الأهم هو ان نحلل العلاقات المبنية  
ما بينها . فالعناصر هذه تكون مجموعة ، ولهذه  
المجموعة حركية خاصة . . تركيب خاص . فالمهم ،  
بالتحليل ، ان نبحث عن هذه العلاقات بدقة . . والا  
تجاهلنا حقيقة المجموعة . وهنا أضرب مثلاً بما كانت  
عليه التحليلات من قبل ، والتي كانت تختلف حسب  
المواضيع ، حيث يتركز البحث في جانب واحد ويترك  
الجوانب الأخرى . أما من أراد أن يطبق مبادئ البنيوية  
فان عليه ، كشرط مطلق ، ان يهتم بجميع جوانب الواقع  
الادبي . . بأن ينظر الى المجموعة من جميع الجوانب ،  
فلا يعزل جانباً عن جانب ، لان لكل وظيفة خاصة تؤثر  
على التركيب . فاذا أخذنا ، مثلاً ، الجانب العروضي  
واكتفينا به فاننا سنصل — بطبيعة الحال — الى معرفة  
كافية بالجانب العروضي . وهكذا بالنسبة لبقية  
الجوانب .

وهذا ذاته يطبق على القصة ، على الرواية ، على  
المسرحية ، وعلى كل فنون الادب . ينظر الى الانتاج  
الادبي كمجموع ، سواء أكان رواية أم شعراً . . الخ .  
فمن اكتفى بجانب واحد فانه يتجاهل الجوانب الأخرى  
من جهة ، ولا يدرك ، بمعرفة كافية ، هذا الجانب  
نفسه ، من جهة أخرى . . لان لهذا الجانب علاقات  
باطنة ، وعلاقات مع العناصر الأخرى . فمن أحاط بجانب  
واحد ، صارفاً النظر عن الجوانب الأخرى ، تجاهل  
الحقيقة ككل . وهذه هي النتيجة لتطبيق البنيوية على  
البحوث الادبية : ان ينظر المحلل الى النتاج العروضي  
امامه ( سواء كان مسرحية ، أم قصة ، أم رواية ) ككل .  
هذا هو المبدأ الاساس .

وبطبيعة الحال فان القضية مهمة ، وليست  
سهلة . . لان البنيوية تقتضي مبداً اولياً هو : ان كل  
واقع يكون « كلاً ثابتاً » ، لان كل مجموعة مركبة من  
عناصر تتركز على ثبات العناصر ، وعلى ثبات العلاقات  
المبنية ما بين هذه العناصر . فبعض الاتجاهات ترفض  
هذا المبدأ . . مثلاً : ما وقع من اختلاف ما بين النظرية  
الماركسية في التحليل الادبي والنظرية البنيوية . .  
فالنظرية ترفض ، ولا تقبل ، على وجه الاطلاق ، وجود  
تراكيبات ثابتة لا تتغير في البنيان . فبعد ان تطورت  
البنيوية من جهة ، وتطورت النزعة الماركسية في  
التحليل الادبي . . وتطورت نزعات أخرى ، استطعنا ان  
نصل الى حل لهذه المشكلة بالكيفية التالية :

برأيي ، ان وجود تراكيبات بنيوية ضمن الواقع امر  
لا شك فيه . . ولكن هذه البنى تتغير حسب تغير  
العلاقات . فكلما تغيرت علاقة من العلاقات المبنية ما  
بين العناصر يتغير الكسل . وهذا ما سميتسه أنا :  
« المحورية » . واضرب مثلاً من الشعر . . فالشعر  
يتمحور حسب محاور متنوعة . فمفهوم المحورية ، على  
هذا النحو ، ساعد في حل المشكلة النظرية التي اصطدم  
بها الماركسيون والبنيويون .

### \* حيناً لو تتوقف أكثر عند مفهوم « المحورية » ، لتبينه على نحو أكثر وضوحاً . .

— اعني بالمحورية ما يلي :  
انظر مثلاً « الدلالات » ، أو مفهوم « المعاني » — لان  
مفهوم الدلالات اوضح وأدق من مفهوم المعاني . المعنى  
مفهوم شامل على عناصر مختلفة . . والبنيوية تقتضي  
التمييز بين وحدات مركبة ( بكسر الكاف ) للكلمة . ومن  
هنا فأنا — عادة ، أستعمل « الدلالات » — والدلالات  
تتشابك وترتبط حسب اتجاهات معنوية معينة . كل  
شاعر . مثلاً . يعبر عن نفسه حسب اتجاهات . .  
حسب نزعات . فالدلالات ، ثم المعاني ، تكون مجموعات،  
ومجموعات تحتية حسب النزعات الاساسية التي تكون  
فكرة الشاعر . ومن هنا فان الفرق ما بين التحليل  
الوصفي — التكراري للأغراض ( مثلاً : فكرة الموت عند  
المتنبي . الزمان عند المتنبي . الحب عند المتنبي . الخ ،  
من الأغراض المبعثرة المثورة ) . . التحليل البنيوي  
يجمع ما بين جميع المعاني . . .

من هنا تكون المحورية هي الحركة ، أو الحركات  
الاساسية التي تركز عليها البنى .  
فان ، كل شاعر له محورية خاصة ، اي تركيب  
خاص ما بين الدلالات التي تعبر عما يريد ان يقول .  
فمثلاً اذا نظرنا الى المتنبي نجد ان له « محورية » تعتمد  
على ثلاثة محاور : محور كيان ، محور وجودي ،  
ومحور كوني . . وكل المعاني الموجودة في ديوان المتنبي  
ترتكب حسب هذه الحركات .

## ❖ هل لك أن تقدم مثلاً على ذلك ؟

.. خذ محورية المتنبي فيما يخص الزمان .  
فانها تعبر عن الوعي الماساوي بمعناه عند « لوكاتش »  
مثلاً . الوعي الماساوي عند المتنبي ناتج عن اصطدام ما  
بين محور حيائي . وجودي . عمودي .. ومحور زمني .  
قاطع . افقي . ففكره الموت منبعها مثل هذا الاصطدام  
ما بين : قدرته للزمان . وفكرته للحياة .  
اذن : المحورية هي التي تمنعنا من التبعض ..  
هي التي تتركب جميع الدلالات .. جميع العناصر .  
وهنا اود ان اسير الى مسالة مهمة : ان عند  
المستشرقين صورة عجيبة عن الشعر العربي .. فهم  
يقولون ان الشعر العربي ( معتمدين في هذا على مبدا  
قديم لم يفهموه ) كل بيت فيه قام بذاته : مستقل .  
وهو وان كان كل بيت يعبر عن معنى تام . الا انه لا يدل  
على وجود فصل ما بين المعاني . لقد اعتمدوا على هذا  
المبدا ليقولوا : ان الشعر العربي مجزأ . مبعضر ، وان  
الفكر العربي هو نفسه غير قادر على تنظيم دلالاته ..  
فهو فكر مبعضر ، غير مسلسل . لا يصل الا الى  
التعميمات . وأظن ان التحليل البنيوي يساعد على  
توضيح التركيب الباطني للدلالات عند الشعراء ، وعند  
سواهم .

## ❖ من خلال كل هذا .. ما الذي أضافته الدراسات البنيوية الى الدراسات المعاصرة ، برأيك ؟

.. أولاً ، انها خلقت مفاهيم تطبيقية .. اي مفاهيم  
تساعدنا على فهم حقيقة الادب . مثلاً : في عرض المعنى  
لمفهوم الدلالات .. مفهوم المستويات التعبيرية .. مفهوم  
المحاور الدلالية .. مفهوم الفرق ما بين « النص الظاهر »  
و « النص المخفي » ..

كلما قرأنا نصا نجد فيه :

- ١ - نصا دلاليا ظاهرا ..
- ٢ - وتحت النص الدلالي : نص تاريخي ..
- ٣ - وتحت النص التاريخي : نص ايديولوجي .

ومن هنا أظن ان مفهوم التركيب .. مفهوم تشابك  
العناصر .. مفهوم تكوين المجموعات والمجموعات  
التحتية .. الخ ، من المفاهيم التطبيقية قد ساعدتنا في  
التمييز ما بين المستويات ، وأشارت الى علاقات مهمة  
تجاهلها التحليل من قبل ، اذ انه كان يتنبه الى العناصر  
في ذاتها أكثر من انتباهه الى العلاقات .

غير اننا الآن اجتزنا المرحلة . مثلاً : اذا نظرنا الى  
تحليل « لوسيان غولدمان » الذي يحاول أن يبين  
العلاقات الموجودة ما بين التراكيب الاجتماعية - الثقافية ،  
والتراكيب النصية الباطنة ، وجدنا ان هذه العلاقات  
ليست ميكانيكية ما بين البنيوية الاجتماعية - الثقافية -  
الاقتصادية ، والبنیان الادبي لنص ما ..

غير انني هنا اطلب اليك ان تضيف الى « البنيوية »  
ما نسميه انا « البنيوية التفرعية » . أو « البنيوية  
المحورية » .

❖ طيب : لو استخدمنا « البنيوية المحورية »  
كمنهج في دراسة الادب العربي ( وانت  
نفسك أنترت الى هذا قبل قليل ، مؤثراً  
جدواه ) في تحليل معطيات هذا الادب .  
فبإيه نتائج جديده سنخرج ، برأيكم ؟

.. بنتائج عديده . ومختلفة ..

أظن ان من يريد ان يقارن بين ادبنا الكلاسيكي  
بمعنى عام . وادبنا الحديث . فان « البنيوية المحورية »  
تساعدنا على تبين الفرق بين الانتاجين ..  
ففي ما يتعلق بالشعر يقال : ان هذا شاعر حديث  
لانه ترك التقاطيع العروضية . وهذا شاعر كلاسيكي لانه  
يستعمل التقاطيع العروضية . ونحن نعلم ان « الحدائنة »  
ليست متعلقة بالتقاطيع والعروض . فكثيرا ما نجد  
شاعرا مقلدا يترك التقاطيع العروضية ويكتب بالشكل  
الذي نسميه « الشعر الحر » . وكثيرا ما نجد شاعرا  
يعبر عن الحدائنة وهو يلتزم البنیان العروضي  
الكلاسيكي ..

ومن هنا . اذا ما قارنا بين المحوريات : فاننا  
سنبين الاختلاف ما بين المحورية التي كانت تحرك  
الانتاج الكلاسيكي . والمحورية ( او عدم المحورية ) التي  
تحرك ( او لا تحرك ) الانتاج الحديث . فالحدائنة مسالة  
« النص الباطني » وليست مسالة « النص الظاهر » .  
ومن هنا ، علينا ان نخرج على ما أشاعته الكثير من  
الكتب التي وضعت في هذا الموضوع ، وأكثريتها بحث  
في الجزئيات . وفي الظواهر فقط . دون أن نصل الى  
صميم الموضوع . وصميم الموضوع هو : ان الشاعر  
الحديث ليس شاعرا حديثا لانه يقول أشياء جديدة .  
انما أظن انه حديث لانه ابتكر علاقات جديدة ما بين  
الاشياء .. لانه غير المحورية الباطنية للامور .

❖ أفهم من هذا انك تطرح هنا مفهوما خاصا  
لمعنى الحدائنة ؟ ..

.. لفهم الحدائنة ..

❖ وهو مفهوم يختلف ، في تفاصيل كثيرة  
فيه ، عن المفهوم السائد في عديد من  
الكتابات التي تتكلم عن الشعر وحدائنه ؟

.. طبعاً .. لان أكثرية هذه الكتابات تطبق على  
الشعر مقاييس مسبقة . فانا احترم النص احتراماً تاماً  
ومطلقاً ، ولا أستطيع أن أحكم على شعرنا بالقول : ان  
هذا حديث وهذا غير حديث .. هذا مقلد وهذا غير  
مقلد ، الا بعد أن اكتشف المباني الباطنية . فالمحورية  
هي التي نشير الى الحدائنة أو الى التقليد . وأذكر انني  
وأدونيس تكلمنا في هذا طويلاً . وأظن لو ان أدونيس

محور عمودي هو : محور التقاطيع ، ومحاور أفقية ، وهي ثلاثة : الكلامية ، النحوية ، والإيقاعية الصوتية .. أما الجزء الثاني ، فقد بحثت فيه عن التركيب : تركيب الدلالات ، وبينت فيه محورية القصيدة .. كل هذا أوصلي الى فهم « المحورية العلاقية » ما بين العناصر .

**\* وهل هذا هو الاسلوب الذي تتبعه مع جميع النصوص الشعرية ، أم أن كل نص يفرض طريقته الخاصة به في البحث ؟**

– لقد جرت مراحل عديدة قبل أن أصل الى هذه المرحلة . كان يتحتم عليّ أن أدقق الاساليب ، وأدقق المفاهيم قبل أن أقوم بهذه المحاولة . فهذه هي المحاولة الاولى التي أقدم فيها تحليلاً كلياً لقصيدة .

**\* وفي السابق ، على أي نحو كان يتم عملك النقدي – التحليلي ؟**

– في السابق دقت المفاهيم . وجربت الاساليب ، وقد وصلت الى هذه المحاولة الاولى . وأظن – وهو مجرد ظن – أنني أستطيع أن أحل نصاً اولياً ( قصيدة ) بشرط أن لا أستخرج من القصيدة الا ما هو موجود فيها . وأن لا أعمم الا بعد تحليل القصائد الاخرى من المجموعة ( وهي القصائد التي نظمتها المتنبي في صباه ) .. وحللت القصائد الاخرى فأكدت لي وجود محورية خاصة للمتنبي .

لقد طرح عليّ سؤالاً مهماً . هو : هل ان هذه المنهجية تطبق على جميع النصوص ؟

أظن انها تطبق على جميع النصوص ، لان التركيب الباطني ( يختلف طبعا من الشعر الى الرواية الى المسرحية .. ولكن ) يفترض وجود محورية خاصة .. وهذا سهل عليّ حل مشكلة نظرية مهمة ، وهي : العلاقة ما بين الايديولوجية والكتابة . وهذه مشكلة صعبة ( في أوروبا ، مثلاً ، قامت معارك حول ذلك : ما هي الكيفية التي تتم بها قراءة ايديولوجية للنص . وهي التعبير عن اتجاه خاص للأفكار .. أو بعبارة أخرى : الايديولوجية هي المنهج العام الذي يحرك المعاني ، ويرتبها ، ويوزعها ) . فالايديولوجية الماركسية طبقت على النصوص قراءة خاصة ، وجعلت علاقة شبه ميكانيكية ما بين المضمون والايديولوجية ، حسب مبدأ ميكانيكي ، أو شبه ميكانيكي . ( مثلاً ، وان كان هذا المقال غير ذي قيمة ، قولها : ان كل كاتب رجعي نتاجه رجعي ، وكل كاتب تقدمي نتاجه تقدمي ) ..

وفي رأيي أننا قبل أن نقوم بقراءة ايديولوجية للنص ينبغي أن نعرف بأمر مهم ، هو : ان الايديولوجية ليست مبنى ، كما انها ليست مضمونا .. الايديولوجية

– التتمة على الصفحة ٦٥ –

استعمل اساليب البحث البنيوي ، لكان عبر عما عبر عنه في كتبه السابقة ، وبالخصوص في « مقدمة للشعر العربي » .. وبالذات حين رأى أننا ينبغي أن نضع الفرق ما بين « صاحب البدعة » و « صاحب الابداع » . وأنا وصلت الى نفس النتيجة .. غير ان هذا الزماني أن الجأ الى اساليب أخرى للبحث لاصل الى النتائج .

**\* أود هنا أن أعرف شيئاً أكثر عن عملك في اطار هذه المدرسة ..**

– بعد ان أتفت كتاباً حول « الشعرية الادبية » وصلت الآن الى تحليل الشعر الحديث ، أو ما يسمى « الشعر الحديث » . فأنا ، حتى الآن ، أكتفي بهذه التسميات المعممة ( اي الشعر التقليدي والشعر الحديث ) ، ومرادى هو أن أبحث عن بناء الشعر الحديث .. الإنتاج الحديث ، وأقارنه ، من بعد هذا ، مع بناء الشعر القديم .. لسبب واحد ، هو أنني اكتسفت عند بعض شعرائنا القدماء محورية تعبر عن صداقه ...

**\* مثلاً ؟**

– مثلاً عند شعراء الكوفة .. وفي موضوع الخمرات .. التي مهدت الطريق لأبي نواس . لقد وجدت شعراء مخمولي الذكر ( مثلاً : أبو الهندي ) يعبرون عن أفكار حديثة ..

ان فكرتي بسيطة في هذا الموضوع ، وهي : ان الحدائث ليست في مسالة زمان .. أي لعلنا نعثر على شعراء عبروا عن أفكار حديثة في القرون القديمة ، وليس كل شاعر معاصر حديث . لا أظن ان كل شاعر حي هو شاعر حديث . الحدائث امر آخر ..

وأنظر الى الآداب الاجنبية ذات النظرة . فبعض الشعراء القدماء عبروا عن حدائث ، وغيروا شيئاً . وفهموا شيئاً من العلاقات المخفية ما بين الأشياء . أما بعض الشعراء المعاصرين فانهم لم يبتكروا شيئاً .

**\* أريد ، هنا ، أن أسأل عن الكيفية التي تتناولون بها قصيدة ما ، وتخضعوها لهذا المنهج ، أو لهذا الاسلوب في الدراسة والنظر ؟**

– هنا لا بد من أن أتخذ من دراستي عن المتنبي مثلاً :

أخذت قصيدة المتنبي ، ونظرت فيها ، فوجدت فيها مستويات مختلفة : البناء القالبي ، الذي يعبر عن القلب العروضي .. ووضحت التراكيب الظاهرة ( السطحية ) والتراكيب الباطنية ( المخفية ) ، والعلاقات الموجودة ما بين التقاطيع العروضية والتقاطيع الكلامية .. ووصلت الى ايضاح العلاقة ما بين التقاطيع العروضية والتسلسل النحوي ، ووزعت هذه العناصر حسب

## مقابلة أدبية مع جمال بن الشفيخ

- تمة المنشور على الصفحة 11 -

هي حركة علاقية .. الايدولوجية هي التي تغربل ما بين العلاقات وتختار علاقة خاصة تجعلها ما بين العناصر .

ان من يرتكز على احكام اعتبارية ، أو احكام مسبقه لن يقوم بقراءة ايدولوجية ، انما يقدم النص امام محكمة ، وحسب معايير الخاصة يحكم عليه . ولا اجد اية قيمة لمثل هذه القراءة . على العكس : بعد ان نكتشف العلاقة المحورية للنص ، وكيف تتركب العناصر ، وكيف تتركب المعاني والدلالات ، ونبحث عن العلاقات الموجودة ما بين العناصر ، تظهر القيمة الايدولوجية للنص .

✽ اذن هناك عناصر لقاء ما بين القراءتين :  
القراءة الايدولوجية للنص ، والقراءة  
البنوية المحورية ؟

- نعم .. وقد اقتضى هذا مني سنوات طويلة .. في بداية الامر كنت ، انا الآخر ، اطبق احكاما مسبقه . كنت اعتمد على آراء شاعر مثلا ، وأقول : ان هذا الشاعر بما انه تقدمي وثورى فان شعره تقدمي . وهذه احكام ليست لها قيمة . انما قبل ان نحدد من هو الشاعر التقدمي ، ومن هو الشاعر الرجعي ، علينا ان نتعرف على الصور .. على الادوات البيانية ، وهل تحتوي على قيمة ايدولوجية أم لا ..

فاذا قبلنا مفهوم « المحورية » ، وحللنا العلاقات التركيبية الباطنة ، وفهمنا لعبالعناصر ضمن المجموعة ، فان هذا يرشدنا الى فهم العلاقة الحقيقية الموجودة ما بين الآثار الادبية والنظام الثقافي - الاجتماعي - الاقتصادي .

أما من يريد أن يجد علاقة مباشرة ما بين هذا النظام وتركيب النص ، فانه سوف لن يستطيع تجنب المزالق والاطعاء .

✽ وما هو وجه الاختلاف عندك ، بين النتائج التي تصل اليها « البنيوية المحورية » ، والنتائج التي تصل اليها سواها من المدارس الاخرى ؟

- يظهر لي ان اكثرية التحليلات ( ولا اذكر هنا الا النقد العربي ) ، مع ما نجده فيها من قيمة ، وتحليلات ، وبحوث ترتكز على اساليب علمية ، وعلى المراجع ، وغيرها من الاساليب ، فانها ، على ما اظن ، تكتفي بالجزئيات .. تفصل بين عناصر النص الادبي ، وتأخذ منه . فالناقد العربي يتصرف بالنص كما يريد ...

✽ انه « ناقد انتقائي » ، في الغالب .. - نعم .. اذ نراد يجزى الاعمال الادبية الى موضوعات ( الموت عند السياب .. المرأة في .. . . . . . ) البنية الاجتماعية عند نجيب محفوظ .. . . . . . ) . اننا ، مثلا ، اذا اخذنا فكرة الموت عند السياب نجد ان لها علاقة بفكرته عن الزمان . لها علاقة بالحياة الباطنة . لها علاقة بالكل . ومن هنا تكون هذه التحليلات : تارة وصفية تكرارية ( اي ان الناقد يكرر ما وجده في النص فيقدمه بكيفية اخرى ، فلا اختلاف ما بينهما : النص المنقود والنص الناقد ) .. وتارة يكون تحليليا مفصلا للواقع . واطن ان من الشروط المطلقة هو ان نحترم النص ككل ، قبل اي شيء ، وأن لا نصل به الى تأويلات ..  
أما البنيوي ، فانه يحترم العلاقات الموجودة في النص ، لانه يعالج النص ككل .

✽ استفسر هنا : حين يتناول الناقد البنيوي « نصا » .. هل يستعين ببعض « العوامل المساعدة » على فهمه ( حياة كاتبه مثلا . ما يعرفه عنه . الاستدلال من خلال فكر الكاتب ) ، أم انه يكتفي بالنص بذاته فيحاله كمادة مكتفية بذاتها ؟

- في مرحلة اولى يكتفي بالنص .. ولكن بعد ان ينتهي من تحليل البناء السطحي ، او الظاهر ، يصل الى مستويات اعرق .. وهذه المستويات الاعرق تقتضي منه ان يجعل هناك صلة ، او ان يكتشف الصلة الموجودة في النص ما بين حياة الشاعر ونصه ، لا أن يطبق معلوماته عن حياة الشاعر على القصيدة ( فهذا تصرف مفسد للقصيدة ) .

انظر للفتوة عند المتنبي . اذا اخذنا كلمة « الفتى » عند المتنبي ، في قوله :

« قضاة تعلم اني الفتى الذي تخطى صروف الزمان » . فالمستوى الاول فيها هو « المستوى القاموسي » . تأخذ « لسان العرب » فتجد فيه ان « الفتى » هو الشاب الكامل ، القوي ، الجسيم .. لا اكثر . ( هنا اكتفي بهذه الدلالات القاموسية ، على المستوى الاول ) ..

على اني اجد ان كلمة « الفتوة » في سياق التاريخ العربي ليا معان ترتكز على الاصل ، ولكنها تتشعب وتتوازي . ومن هنا فانا بحاجة ملحة لمعرفة معاني الفتوة عند العرب معرفة دقيقة .. ومعانيها التاريخية ، على وجه الدقة . ولكن لا ادخلها انا في النص ، وانما استخرجها ..

اذن ، العلاقة ما بين حياة الشاعر والنص موجودة في النص .. لا تطبق على النص من الخارج . زد على هذا ، ان النص ، وبالخصوص « النص الشعري » ، له حركية ذاتية ، باطنية ما بين « الادوات » و « الصور »

اعلامها البارزين ، والتي تطرح نظريتها  
في « علم اجتماع الادب » . لا أدري :  
ما هو موقفك ، كبنوي ، من اطروحات  
هذه المدرسة ؟

– ينبغي هنا أن نؤكد ان « لوسيان غولدمان »  
حاول أن يجعل هناك صلة ما بين البنيوية وعلم الاجتماع ،  
وسماها : « لوسيوولوجي جونتيك » .. أي انه  
حاول أن يأخذ فكرة البنيوية ويدخلها في اطار بحث  
اجتماعي .

أثار « لوسيان غولدمان » مهمة ، واحترمها  
احتراما تاما . الا انه يجعل هناك علاقة ميكانيكية ما بين  
التراكيب الاجتماعية والاقتصادية والتراكيب الادبية ،  
محاولا أن يبين عند « أندريه مالرو » مثلا ، وعند مؤلفين  
آخرين ، هذه العلاقة . الا انني أظن انه فشل ..

### \* لماذا ؟

– لان العلاقة ليست علاقة ميكانيكية ، وكلما أراد  
الحلل أن يوضح هذه العلاقة تجاهه صعوبات نظرية  
وتطبيقية كثيرة ..

انني أظن ان هذه العلاقة موجودة ، وان غايتي  
البعيدة هي أن أدرك طبيعة هذه العلاقة ما بين البنين  
الاجتماعي – الاقتصادي والبنين الادبي . ولكنني ، في  
نفس الوقت ، أظن اننا لن نصل الى كشف لهذه العلاقة  
الا بعد أن نكشف عن التراكيب الداخلية للنص الادبي ،  
كنص أدبي . فحتى الآن لم أقرأ تحليلا يوضح بشكل تام  
ان التركيب الادبي الخاص لشاعر ، أو لروائي ، أو  
لمسرحي له علاقة مباشرة بالتراكيب الاجتماعية .. انما  
نجد علاقات جزئية في التعبيرات .. في اختيار الالفاظ ،  
وفي بعض المعاني . غير ان هذا على الصعيد الاول ..

وحتى اذا ما قبلنا بالمبدأ القديم الذي يرى ان كل  
نظام ثقافي – اقتصادي يخلق طرازا معيناً من التعبير  
الادبي ، فان علينا أن ننظر حتى نخلق اساليب جديدة  
لتوضيح هذه العلاقة . فحتى اليوم ، كل ما قدم من  
بحوث في هذا الميدان هي بحوث غير مقنعة .. انما  
شخصيا غير مقنعة بها ..

ولكن ينبغي عليّ هنا أن أضيف الى ما قلت ما أراه  
من ان العلاقة ما بين التراكيب الاجتماعية – الاقتصادية  
والآثار الادبية علاقة متحققة ، غير انها مخفية ،  
ومجزأة ..

\* كبنوي .. على أي نحو تتلمس وجود  
هذه العلاقة .. وكيف تستفيد منها في  
اضافة النص ، وفي فهمه وتحليله ؟

– لم أصل الى هذا الحد . انا اعترف ، بكل  
تواضع ، انني في مرحلة أولى من بحثي . قلت لكم انني  
بدأت بالمفاهيم والاساليب .. ومن بعد هذا حاولت أن  
أجعل بحثي في اطار منهجي دقيق . والآن أظن ( وربما

و « النزعات الباطنة » للشاعر : كان الكلام يقوم بوظيفة  
تحريكية خاصة . باطنة . فهل ان معرفة حياة المتنبي  
تنبهنا الى جميع هذه الجوانب الموجودة في القصيدة ؟  
لا أظن . لا علاقة ميكانيكية ما بين حياة المتنبي وما قاله  
في الشعر . والا فسنتقوم بتفسير سطحي لقصائد  
المتنبي . لا يهمني الوضع الاجتماعي الذي عاشه  
المتنبي .. الذي يهمني هو « مفهوم العز » عند المتنبي ،  
كما عبر عنه في قصائده ..

وهذا يمنعا من أي بحث تقليدي وصفي يبدأ  
بالحياة ، ليحللها جميعا ، ويتبناها ..

\* انما يمكن أن تكون معرفة الحياة هذه  
عاملا مساعدا في اضاءة النص ..

– طبعا .. ولكن بعض الدلالات لها حياة خاصة  
في اطار القصيدة .. لا صلة ما بينها وبين حياة  
الشاعر . وهذا ما يبرهن على انه شاعر ، لانه جاء  
بأمور جديدة في قصيدته .

\* هنا يخطر لي أن أستوضح شيئا عن  
نظرة البنيوية الى الشعر كمفهوم ...

– البنيوية لا تستعمل كلمة « مفهوم » . المصطلح  
المستعمل هو « الوظيفة الشعرية » . وفي البنيوية ،  
بصفة عامة ، هناك تحديد بسيط لذلك : الوظيفة  
الشعرية التي تشتمل على جميع اساليب التعبير  
الشعري هي التي تجعل من الكلام شعرا ..

المدرسة البنيوية تقول : ان الشعر « كلام » من  
جهة ، و « مواضع » من جهة أخرى . وينبغي ، أولا ،  
أن نحترم الصلة ما بين « البنى الكلامية » و « البنى  
الدالية » ، لان هذا يجعل هناك صلة ما بين « الكلام »  
و « الرؤيا » . فمن أراد أن يبرز هذه الرؤيا من خلال  
الكلام يجب أن يكتفي بجميع « الوظائف » . فالبنيوية  
تقول : ان الشعر مبني على عدد محدود ، أو غير  
محدود ، من هذه الوظائف التي تركب ما بين العناصر .  
وهذا هو ما يخلق الشعر ويميزه عن أي تعبير أدبي آخر .  
تذكر التحديد القديم للشعر ، الذي عبر عنه  
« قدامة بن جعفر » : « الشعر هو الكلام الموزون المقفى  
الدال على معنى » .. « يدل على معنى » : لا أكثر ولا  
أقل . فاذا أردنا أن نحدد الشعر ، ونصل الى حقيقته ،  
لا كجوهري ، وانما « ككلام » و « كرؤيا » ، أظن ان البنيوية  
تساعدنا على تحديد مفهوم الشعر بكيفية أخرى .

\* هناك مدرسة أخرى لها موقعها اليوم  
في الدراسات المعاصرة ، وهي المدرسة  
التي يمثل « لوسيان غولدمان » أحد

\* الوظائف : مصطلح من مصطلحات « الهيكلية البنيوية » ، وهي  
تعني : تركيب العلاقات النوعية الخاصة من العلاقات التي تركب  
ما بين العناصر .

هذا خطأ مني ) انني وصلت الى حد فهم النص ككل ،  
وانني استطيع ان اوضح العلاقات المخفية في النص .

**\* أريد ان أسأل هنا عما تختلف به عن  
زملائك من مشايخي هذه المدرسة ، في  
فرنسا بالذات .. وما اذا كنت أضفت  
جديدا في بحوثك ودراساتك في هذا  
الاتجاه ؟**

— اذا كنت أضفت شيئا الى دراساتهم فاني  
أضفت « فكرة المحور » . أظن ان فكرة « المحورية » غير  
موجودة في البحوث التي قدمت في هذا الاتجاه حتى  
الآن ..

**\* وماذا كانت ردود فعل الباحثين الآخرين  
عليك في هذا ؟**

— في فرنسا الآن المدارس الادبية تهجرت في  
ما أسميه أنا « جزئيات » .. تدقق في الاساليب ..  
تنظر في الاتجاهات .. غير انها تقتصر على جزئيات  
تصية ، فمثلا « الالسنية » لا تطبق الا على قطع شعرية  
محدودة ، وتأخذ آيات ، وتبرهن بها على انها وصلت  
الى حد . وأنا أرفض هذا رفضا مطلقا .. ذلك ان قيمة  
المنهجية تقاس بإمكانيتها التطبيقية . فاذا طبقت المنهجية  
على بيت واحد . أو على قطعة شعرية ، فما هي فائدة  
المنهجية ؟

طبعا ، الزملاء الفرنسيون توصلوا الى نتائج ..  
غير أنهم يعتمدون على قطع محدودة ، مختارة ،  
يختارونها هم . وانا أتساءل : هل المنهجية هي التي  
تطبق على النصوص ، أم ان النصوص تفسر للمنهجية ؟  
نرد على هذا : ان كل أدب له مميزات خاصة ..  
وكل أدب له سياق تاريخي خاص .. فبعد ان شاركت  
مع بعض الفرنسيين في تحليل أدبهم هم بأنفسهم .  
انزلت عنهم : لانني الآن لا أهتم الا بالادب العربي ،  
وبالمشاكل النظرية التي أواجهها أنا في اطار الادب  
العربي .. لان المشاكل النظرية ، بطبيعة الحال ، واحدة .  
ولكن ينبغي ان تكون لكل محاولة علمية ارضية .. قاعدة  
للتطبيق .. وقاعدتنا : أو ارضيتنا ، هي الادب العربي .  
ونحن بحاجة الى بحوث تمهيدية . فالفرنسيون ، مثلا .  
وصلوا الى حدود بعيدة في بحثهم في « الصوتيات »  
( الفونولوجيا ، والفونتيك ، والفونولانكتيك ) ضمن  
اختصاص دقيق .. فوصلوا الى نتائج ، وقدموا نظرية  
فحواها : ان الأصوات تكون « نسا ثالثا » .. هذا  
النص يعبر عن معان لاواعية ، أو « قبواعية » .

وما دمننا نحن بحاجة الى بحوث تمهيدية عن  
الصوتيات ، وعن العروض ، لا يمكن ان نصل الى مثل  
هذه الأبعاد .

ونظرا لخاصية الادب العربي ، والى سياقها

التاريخي ، والى عبقرية لغته ومميزاتها ، فاني انزلت  
عن « النظرية الاوروبية » .. أخذت منها بعض الاساليب ،  
ودققت البعض الآخر ، وتركت بعضها منها ، وكونت  
منهجية خاصة أظن ان من الممكن تطبيقها على ادبنا .

هل هذا سيؤدي الى النجاح ، أم الى الفشل ؟  
مهما يكن من أمر .. وحتى اذا فشلت ، فاني أظن  
ان هذا سيفتح أمامنا طرقا جديدة .. واذا ما قام  
شخص وبرهن على انني أخطأت ، وفشلت ، فانه هو  
الذي سيأخذ بالمهمة ، ويفتح أمامي أبوابا جديدة .

لدى الاوروبيين مؤتمرات علمية حول هذه المشاكل  
النظرية ، يتبادلون فيها الآراء ، ويجربون الاساليب ..  
الخ .. ونحن لنا حاجة بهذه المعرفة . وبودي لو نلتقي  
بعلماء عرب يطبقون نفس هذه المنهجية ، أو يرفضونها ،  
بشرط ان يفهموني لماذا قبلوها ، ولماذا رفضوها .. دون  
ان يعتمدوا على المبدأ القديم : « ان من جهل شيئا  
عاداه » ..

**\* لست أدري ما اذا كان منطقيا التساؤل  
عن مستقبل البنيوية ، كهدسة ، أو  
اتجاه . انني أتساءل وفي ذهني ما قاله  
أحد النقاد الفرنسيين عن الوجودية ،  
بأن « أحدا لا يتكلم في الوجودية الآن كما  
كنا نعمل في الماضي .. لا لانها ماتت ،  
بل لانها انتهت كحركة » ..**

— « البنيوية » ، كما ظهرت في الخمسينات  
والستينات ، انتهت هي أيضا . انتهت « البنيوية » كما  
عبر عنها في الميدان الانثربولوجي ، وفي ميدان  
الالسنيات . أي ان الفكرة الاولى من البنيوية انتهت .  
وانتقلنا ، مثلا ، مع « غولدمان » الى « البنيوية  
التكميلية » .. الخ .. ووصلنا الآن الى ما أسميه :  
« البنيوية التفرعية » .

لا أستطيع ان اضع جوابا عن هذا السؤال .  
لماذا ؟ لان العلم ، وبالاخص الاساليب العلمية . لها حياة  
قصيرة .. لان الاساليب تتطور . وتتغير .. ويوما بعد  
يوم نضيف الى ما اكتسبنا نتائج جديدة .

ومن هنا . فأنا أذهب الى الاعتقاد بأن « البنيوية »  
ستتغير رويدا رويدا حتى تولد أساليب جديدة .  
وفروعا علمية جديدة ..

وهكذا ، لا نستطيع القول بأن لها مستقبلا ، أو  
ليس لها . حتما لها مستقبل ، لانها ستولد ، حتى بعد  
رفضها . منهاجيا جديدا . فكما ان العلم كعلم له مستقبل ..  
واذن : فان للبنيوية مستقبلا ضروريا ، بما ستولده من  
فرع علمي جديد .. واما ان العلم لا مستقبل له ، فان  
البنيوية تنتهي .

بغداد